

معنى

الإسلام لله

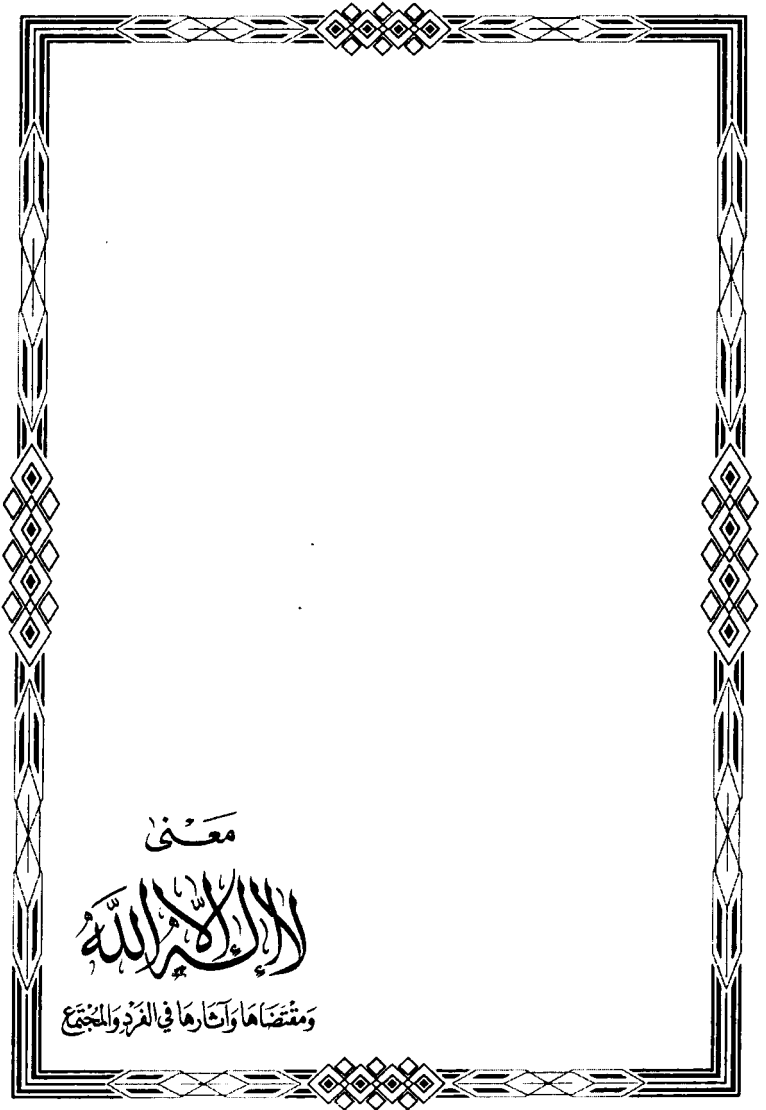
ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع

معالى الشيخ الدكتور

صالح البرغوثي

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

المركز النبوي للنشر والتوزيع



مَعْنَى

الإسلام لله

وَمَقْتَصَاها وَأَشَارها فِي الرَّدِّ وَالْمَجْتَمَعِ

مَجْمُوعَةُ الطَّبَعِ وَالْمَحْفُوظَةِ

الطبعة الثانية

٢٠١٢ - ١٤٣٣



العلم ميراث النبي كذا أتى في النص والعلماء هم وراثته
ما خلف المختار غير حديثه فينا فذاك متاعه وأثابه

رقم الإيداع القانوني: 4823-2009
ردمك: 6-19-944-9947-978



البيروت النبوية للنشر والتوزيع

الدار البيضاء - الجزائر العاصمة
الإدارة: 554250098 (00213) المبيعات: 661409999 (00213)
الفاكس: 21966847 (00213)
البريد الإلكتروني: Dar.mirath@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم لمعالي الدكتور
عبد الله بن عبد المحسن التركي

مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الكل يدرك خطر المذاهب الهدامة المنتشرة في
بعض أراضى المسلمين، والمتغلغلة في نفوس بعض
منهم، إما عن جهل وتقليد أو عصبية جاهلية، ومثل هذه
الفئة رغم قلتها - والله الحمد - عدة وعدداً إلا أن تركها
تروج مذاهبها وطرقها المنحرفة أمر له خطورته الكبيرة،
وتأثيره في مسيرة الإسلام وواقع المسلمين.

ومحاربة هذه الفئات، وكشف ضلالتهم، وبيان فساد معتقدتهم، ومخالفته هدى الله ورسوله أمر واجب على الأمة الإسلامية جمعاء.

وشرح مذهب أهل السنة والجماعة، وإيضاحه تجاه كافة القضايا الإسلامية، وبيان عقيدتهم التي تطابق الحق والهدى أهم وسيلة لكشف مختلف العقائد الفاسدة، والفرق الضالة التي أعماها إبليس وزين لها سوء عملها، وعلل لها انحرافها عن الحق والصواب.

ومنذ نشأت الفرق الضالة على أيدي اليهود والمنافقين والذين دخلوا الإسلام بهدف تشويهه وهدمه من الداخل، والله يقيض لها من يرد عليها ويوضح ضلالها، ومنافاة مذاهبها لحقيقة الإسلام عقيدة وشريعة.

واليوم تزخر الجامعات الإسلامية وعلى رأسها

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالكثير من الكفاءات العلمية القادرة على إيضاح مذهب السلف الصالح - أهل السنة والجماعة وبسطه للمتعلم وغيره، وترجمته إلى اللغات المختلفة؛ ليكون في متناول المسلمين في كافة أنحاء المعمورة، وليتجنبوا بمعرفته والثبات عليه شتى الأفكار والمذاهب المنحرفة.

وقد تحدث فضيلة الدكتور صالح الفوزان في البحث السابق من هذه السلسلة (الطريق المستقيم) عن حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل، ودحض الشبهات التي أثيرت حوله.

ويتابع الشيخ صالح جهوده في كل ما فيه توجيه الأمة إلى الحق وإرشادها إليه، وإيضاح ما علق بعقائدها من تحريفات، وما تحرص الفرق الضالة على ترسيخه في

نفوس العامة من البدع والخرافات، فيقدم لنا موضوعاً جديداً مهماً، يبين فيه (معنى لا إله إلا الله، ومقتضاها، وآثارها في الفرد والمجتمع).

وهل هناك كلمة أعظم وأهم من (لا إله إلا الله) كلمة التوحيد الفاصلة بين الشرك والإسلام، التي أجمعت الرسالات السماوية كلها على الدعوة إليها، والتي شهد الله بها لنفسه في غير موضع من كتابه الكريم، قال تعالى:

﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ ﴾ [محمد: ١٩]،

وقال - جل شأنه -: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه: ٨]، وقال سبحانه: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨].

وكرر إثباتها في آيتين متتاليتين، مع ذكر بعض صفاته

وأسمائه الحسنى في سورة الحشر، قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ
الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ
السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِمُّ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ
سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٢، ٢٣].

وما دامت هذه الكلمة أول كلمة يلزم أن ينطق بها
الكافر معلناً بها إسلامه، وأن من نطق بها صادقاً حرم ماله
ودمه، فإن ذلك يستوجب معرفة معناها ومقتضاها وفضلها
ومكانتها في الحياة، وأركانها، وشروطها، وقد بسط
المؤلف القول في ذلك، ثم اعتنى بنقطة مهمة، وهي متى
ينفع الإنسان قول لا إله إلا الله، ومتى لا ينفعه ذلك؟

ويبين أن مجرد التلفظ بها لا يكفي، مزيلاً الوهم
الموجود عند بعض الناس حول ذلك. وقد أورد حول هذه

المسألة عددًا من أقوال أهل العلم؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية، والشيخ محمد بن عبد الوهاب والحافظ ابن رجب وغيرهم من أهل العلم، مثبتًا بذلك أن من يقول لا إله إلا الله ولا يعمل بمقتضاها لا ينفعه ذلك، بل إن ما يمارسه بعض الناس من أنواع الشرك الأكبر عند الأضرحة وقبور الصالحين يناقض كلمة (لا إله إلا الله) تمام المناقضة، ويضادها تمام المضادة.

وقد ختم بحثه القيم ببيان الآثار الحميدة لهذه الكلمة إذا قيلت بصدق وإخلاص وعُمل بمقتضاها ظاهرًا وباطنًا، على الفرد والجماعة، وأنها عامل من عوامل اجتماع الأمة وقوتها، وتوافر الأمن والطمأنينة لها، وحصول السمو والرفعة لأهلها إلى غير ذلك من الآثار الكثيرة الأخرى.

فجزاه الله خير الجزاء، ونفع الله بهذا الجهد، وحقق
به ما نَصَبُو إليه جميعًا، والله الهادي سواء السبيل، وهو
ولينا فنعم المولى ونعم النصير.

عبد الله بن عبد المحسن التركي

مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



المقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه،
 ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله
 فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا
 الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله،
 صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وكل من اتبعه وتمسك
 بسنته إلى يوم الدين...

أما بعد:

فإن الله ﷻ أمرنا بذكره، وأثنى على الذاكرين،
 ووعدهم أجرًا عظيمًا، فأمر بذكره مطلقًا، وبعد الفراغ
 من العبادات... قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ
 فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وُقُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣].

وقال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾
[البقرة: ٢٠٠].

وأمر بذكره أثناء أداء مناسك الحج خاصة، فقال
تعالى: ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا
اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨]. وقال تعالى:
﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وشرع إقامة الصلاة لذكره فقال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ
لِذِكْرِي﴾ ﴿١٤﴾ [طه: ١٤].

وقال النبي ﷺ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب
وذكر لله»^(١) (رواه مسلم)..

(١) أخرجه مسلم (١١٤١)، وأحمد (٥ / ٧٥).

وقال تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

ولما كان أفضل الذكر: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له)، كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «خير الدعاء دعاء عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»^(١) (رواه الترمذي).

ولما كانت هذه الكلمة العظيمة (لا إله إلا الله) لها هذه المنزلة العالية من بين أنواع الذكر ويتعلق بها أحكام، ولها شروط، ولها معنى ومقتضى، فليست كلمة تقال باللسان فقط، لما كان الأمر كذلك آثرت أن تكون موضوع حديثي، راجياً من الله تعالى أن يجعلنا وإياكم

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٨٥).

من أهلها المستمسكين بها، والعارفين لمعناها، العاملين بمقتضاها ظاهرًا وباطنًا.

وسيكون حديثي عن هذه الكلمة في حدود النقاط التالية:

مكانة لا إله إلا الله في الحياة، وفضلها، وإعرابها، وأركانها وشروطها ومعناها، ومقتضاها، ومتى ينفع الإنسان التلفظُ بها، ومتى لا ينفعه ذلك، وآثارها، فأقول مستعينًا بالله تعالى:



مكانة لا إله إلا الله في الحياة

إنها كلمة يعلنها المسلمون في أذانهم وإقامتهم، وفي خطبهم ومحادثاتهم، وهي كلمة قامت بها الأرض والسماوات، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، ولأجلها نصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى مؤمنين وكفار، فهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة، وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نصبت القبلة، وعليها أسست الملة، ولأجلها جُرِّدَت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعنهما يُسأل الأولون والآخرون... فلا تزول قدما

العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين: (ماذا كتتم نعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟)، وجواب الأولى بتحقيق (لا إله إلا الله) معرفة وإقرارًا وعملاً، وجواب الثانية بتحقيق (أن محمدًا رسول الله) معرفة وانقيادًا وطاعة.

هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى، والعروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم: ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨].

وهي التي شهد الله بها لنفسه، وشهدت بها ملائكته وأولو العلم من خلقه، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]. وانظر مجموعة التوحيد.

وهي كلمة الإخلاص وشهادة الحق، ودعوة الحق،

وبراءة من الشرك، ولأجلها خلق الخلق، كما قال تعالى:
 ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) ﴿[الذاريات: ٥٦].

ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، كما قال:
 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥) ﴿[الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (٢) ﴿[النحل: ٢].

قال ابن عيينة: ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرفهم لا إله إلا الله، وإن لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا.

فمن قالها عصم ماله ودمه، ومن أبأها فماله ودمه هدر، ففي الصحيح عن النبي ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله،

وكفر بما يعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله^(١). وهي أول ما يطلب من الكفار عندما يُدْعَوْنَ إلى الإسلام، فإن النبي ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»^(٢) الحديث، أخرجاه في الصحيحين.

وبهذا تعلم مكانتها في الدين وأهميتها في الحياة، وأنها أول واجب على العباد؛ لأنها الأساس الذي تبنى عليه جميع الأعمال.



(١) أخرجه مسلم (٢٣)، وأحمد (٦ / ٣٩٤).
 (٢) أخرجه البخاري (١٣٨٩)، ومسلم (١٩)، والترمذي (٦٢٥)،
 والنسائي (٢٤٣٥)، وأبو داود (١٥٨٤)، وابن ماجه (١٧٨٣)،
 وأحمد (١ / ٢٣٣)، والدارمي (١٦١٤).

فضل لا إله إلا الله

فلها فضائل عظيمة، ولها من الله مكانة، من قالها صادقاً أدخله الله الجنة، ومن قالها كاذباً حَقَنْتُ دمه وأَحْرَزْتُ ماله في الدنيا وحسابه على الله بِعِزَّتِهِ، وهي كلمة وجيزة اللفظ، قليلة الحروف، خفيفة على اللسان، ثقيلة في الميزان.

فقد روى ابن حبان والحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «قال موسى: يا رب، علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به، قال: يا موسى، قل: لا إله إلا الله، قال: كل عبادك يقولون هذا، قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعامرهنَّ غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة؛ مالت بهن لا إله إلا الله»^(١).

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٠).

فالحديث يدل على أن لا إله إلا الله هي أفضل الذكر.

وفي حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»^(١) رواه أحمد والترمذي.

ومما يدل على ثقلها في الميزان أيضاً ما رواه الترمذي وحسنه، والنسائي والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، عن عبد الله بن عمرو: قال النبي ﷺ «يُصَاحُّ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي عَلِيُّ رِءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سَجْلاً كُلُّ سَجَلٍ مِنْهَا مَدُّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يُقَالُ: أَتَنْكَرُ مِنْ هَذَا شَيْئاً؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: أَلَيْكَ عِذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لَا. فَيُقَالُ: بَلَىٰ إِنْ لَكَ عِنْدَنَا

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٨٥).

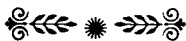
حسنت، وإنه لا ظلم عليك، فيخرج له بطاقة فيها (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله)، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة»^(١).

ولهذه الكلمة العظيمة فضائل كثيرة ذكر جملة منها الحافظ ابن رجب في رسالته المسماة «كلمة الإخلاص» واستدل لكل فضيلة.

ومنها: أنها ثمن الجنة، ومن كانت آخر كلامه دخل الجنة، وهي نجاة من النار، وهي توجب المغفرة، وهي أحسن الحسنات، وهي تمحو الذنوب والخطايا، وهي تجدد ما درس من الإيمان في القلب وترجع بصحائف

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠).

الذنوب، وهي تخرق الحُجُب حتى تصل إلى الله ﷻ،
وهي الكلمة التي يصدّق الله قائلها، وهي أفضل ما قاله
النبيون، وهي أفضل الذكر، وهي أفضل الأعمال، وأكثرها
تضعيفًا، وتعدل عتق الرقاب، وتكون حرزًا من الشيطان،
وهي أمان من وحشة القبر وهول الحشر، وهي شعار
المؤمنين إذا قاموا من قبورهم، ومن فضائلها أنها تفتح
لقائلها أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء، ومن
فضائلها أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها
فإنهم لا بد أن يخرجوا منها، هذه عناوين الفضائل التي
ذكرها ابن رجب في رسالته واستدل لكل واحد منها.



إعرابها وأركانها وشروطها

أ- إعرابها:

إذا كان فهم المعنى يتوقف على معرفة إعراب الجمل، فإن العلماء - رحمهم الله - قد اهتموا بإعراب لا إله إلا الله، فقالوا: (لا) نافية للجنس، و(إله) اسمها مبني معها على الفتح، وخبرها محذوف تقديره: (حق) أي: لا إله حق، و(إلا الله) استثناء من الخبر المرفوع، والإله معناه: المألوه بالعبادة، وهو الذي تأله القلوب وتقصده؛ رغبة إليه في حصول نفع أو دفع ضرر، ويغلط من قدر خبرها بكلمة: (موجود أو معبود) فقط؛ لأنه يوجد معبودات كثيرة من الأصنام والأضرحة وغيرها، ولكن المعبود بحق هو الله، وما سواه فمعبود بالباطل، وعبادته باطلة، وهذا مقتضى ركني لا إله إلا الله.

ب- ركنًا لا إله إلا الله:

لها ركنان: الركن الأول النفي، والركن الثاني الإثبات.

والمراد بالنفي: نفي الإلهية عما سوى الله تعالى من سائر المخلوقات.

والمراد بالإثبات: إثبات الإلهية لله سبحانه فهو الإله الحق، وما سواه من الآلهة التي اتخذها المشركون فكلها باطلة، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

قال الإمام ابن القيم: فدلالة لا إله إلا الله على إثبات إلهيته أعظم من دلالة قوله: (الله إله)، وهذا لأن قول (الله إله) لا ينفي إلهية ما سواه بخلاف قول: لا إله إلا الله فإنه يقتضي حصر الألوهية ونفيها عما سواه، وقد غَلِطَ غَلِطًا

فاحشًا كذلك من فسر الإله بأنه القادر على الاختراع فقط.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله في شرح كتاب التوحيد: فإن قيل قد تبين معنى الإله والإلهية فما الجواب عن قول من قال بأن معنى الإله القادر على الاختراع ونحو هذه العبارة؟ قيل: الجواب من وجهين؛ أحدهما أن هذا قول مبتدع لا يعرف أحد قاله من العلماء ولا من أئمة اللغة، وكلام العلماء وأئمة اللغة هو معنى ما ذكرنا كما تقدم، فيكون هذا القول باطلاً.

الثاني: على تقدير تسليمه فهو تفسير باللازم للإله الحق، فإن اللازم أن يكون خالقًا قادرًا على الاختراع، ومتى لم يكن كذلك فليس بإله حق وإن سمي إلهًا، وليس مراده أن من عرف أن الإله هو القادر على الاختراع فقد دخل في الإسلام، وأتى بتحقيق المرام من مفتاح دار

السلام، فإن هذا لا يقوله أحد؛ لأنه يستلزم أن يكون كفار العرب مسلمين، ولو قدر أن بعض المتأخرين أراد ذلك فهو مخطئ يرد عليه بالدلائل السمعية والعقلية.

ج- وأما شروط لا إله إلا الله:

فإنها لا تنفع قائلها إلا بسبعة شروط:

الأول: العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا، فمن تلفظ بها وهو لا يعرف معناها ومقتضاها فإنها لا تنفعه؛ لأنه لم يعتقد ما تدل عليه، كالذي يتكلم بلغة لا يفهمها.

الثاني: اليقين وهو كمال العلم بها المنافي للشك والريب.

الثالث: الإخلاص المنافي للشرك، وهو ما تدل عليه لا إله إلا الله.

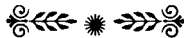
الرابع: الصدق المانع من النفاق، فإنهم يقولونها
بألسنتهم غير معتقدين لمدلولها.

الخامس: المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه
والسرور بذلك، بخلاف ما عليه المنافقون.

السادس: الانقياد بأداء حقوقها، وهي الأعمال
الواجبة إخلاصًا لله وطلبًا لمرضاته، وهذا هو مقتضاها.

السابع: القبول المنافي للرد، وذلك بالانقياد لأوامر
الله وترك ما نهى عنه.

وهذه الشروط قد استنبطها العلماء من نصوص
الكتاب والسنة التي جاءت بخصوص هذه الكلمة
العظيمة، وبيان حقوقها وقيودها، وأنها ليست مجرد لفظ
يقال باللسان.



معنى هذه الكلمة ومقتضاها

اتضح مما سبق أن معنى لا إله إلا الله، لا معبود بحق إلا إله واحد، وهو الله وحده لا شريك له؛ لأنه المستحق للعبادة فتضمنت هذه الكلمة العظيمة أن ما سوى الله من سائر المعبودات ليس بإله حق وأنه باطل؛ لأنه لا يستحق العبادة.

ولهذا كثيرًا ما يرد الأمر بعبادة الله مقرونًا بنفي عبادة ما سواه؛ لأن عبادة الله لا تصح مع إشراك غيره معه، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله؛ حرم دمه وماله»^(١).

وكل رسول يقول لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]... إلى غير ذلك من الأدلة.

قال الإمام ابن رجب رحمه الله: وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد: لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله له غير الله، والإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبته له وإجلاله، ومحبة وخوفاً ورجاءً، وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاء له،

(١) أخرجه مسلم (٢٣)، وأحمد (٦/ ٣٩٤).

ولا يصلح ذلك كله إلا الله عَزَّ وَجَلَّ.

ولهذا لما قال النبي ﷺ لكفار قريش: «قولوا: لا إله إلا الله»، قالوا: ﴿أَجْعَلُ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] (١). ففهموا من هذه الكلمة أنها تبطل عبادة الأصنام كلها، وتحصر العبادة لله وحده، وهم لا يريدون ذلك، فتبين بهذا المعنى أن معنى لا إله إلا الله ومقتضاها إفراد الله بالعبادة، وترك عبادة ما سواه، فإذا قال العبد: لا إله إلا الله فقد أعلن وجوب إفراد الله بالعبادة، وبطلان عبادة ما سواه والقبور والأولياء والصالحين.

وبهذا يبطل ما يعتقد عباد القبور اليوم وأشباههم من أن معنى لا إله إلا الله هو الإقرار بأن الله موجود، أو أنه هو الخالق القادر على الاختراع وأشباه ذلك.

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٢٧).

أو أن معناها لا حاكمية إلا الله، ويظنون أن من اعتقد ذلك وفسر به لا إله إلا الله فقد حقق التوحيد المطلق، ولو فعل ما فعل من عبادة غير الله والاعتقاد بالأموات، والتقرب إليهم بالذبائح والنذور والطواف بقبورهم والتبرك بتربتهم.

وما شعر هؤلاء أن كفار العرب الأولين يشاركونهم في هذا الاعتقاد، ويعرفون أن الله هو الخالق القادر على الاختراع، ويقولون بذلك وأنهم ما عبدوا غيره إلا لزعمهم أنهم يقربونهم إلى الله زلفى لا أنهم يخلقون ويرزقون.

فالحاكمية جزء من معنى لا إله إلا الله وليست هي معناها الحقيقي المطلوب، فلا يكفي الحكم بالشرعية في الحقوق والحدود والخصومات مع وجود الشرك في العبادة.

ولو كان معنى لا إله إلا الله ما زعمه هؤلاء لم يكن بين الرسول ﷺ وبين المشركين نزاع، بل كانوا يبادرون لى إجابة الرسول ﷺ إذا قال لهم: أقروا بأن الله هو القادر على الاختراع، أو أقروا أن الله موجود، أو قال لهم: يحاكموا إلى الشريعة في الدماء والأموال والحقوق يسكت عن العبادة.

لكن القوم وهم أهل اللسان العربي فهموا أنهم إذا نالوا (لا إله إلا الله) فقد أقروا ببطلان عبادة الأصنام، وأن هذه الكلمة ليست مجرد لفظ لا معنى له، ولهذا نفرّوا منها وقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُّجَابٌ ۝﴾ [ص: ٥].

كما قال الله عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ آيَاتُنَا لَنَآرِكُمْ آءِ الْهَيْتِنَا لِشَاعِرٍ

تَجَنُّونَ ﴿٣٦﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦]. فعرفوا أن لا إله إلا الله تقتضي ترك عبادة ما سوي الله وإفراد الله بالعبادة، وأنهم لو قالوها واستمروا على عبادة الأصنام لتناقضوا مع أنفسهم وهم يأنفون من التناقض، وعباد القبور اليوم لا يأنفون من هذا التناقض الشنيع، فهم يقولون لا إله إلا الله، ثم ينقضونها بعبادة الأموات والتقرب إلى الأضرحة بأنواع من العبادات فتباً لمن كان أبو جهل وأبو لهب أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله!

والحاصل: أن من قال هذه الكلمة عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها، ظاهراً وباطناً من نفي الشرك وإثبات العبادة لله مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته، والعمل به فهو المسلم حقاً، ومن قالها وعمل بها وبمقتضاها ظاهراً من غير اعتقاد لما دلت عليه فهو المنافق، ومن قالها بلسانه وعمل بخلافها من الشرك المنافي لها فهو المشرك

المتناقض، فلا بد مع النطق بهذه الكلمة من معرفة معناها؛ لأن ذلك وسيلة للعمل بمقتضاها قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٨٦) [الزخرف: ٨٦].

والعمل بمقتضاها: هو عبادة الله والكفر بعبادة ما سواه، وهو الغاية المقصودة من هذه الكلمة.

ومن مقتضى لا إله إلا الله: قبول تشريع الله في العبادات والمعاملات والتحليل والتحريم، ورفض تشريع من سواه، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، فلا بد من قبول تشريع الله في العبادات والمعاملات والحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه في الأحوال الشخصية وغيرها، ورفض القوانين الوضعية، ومعنى ذلك رفض جميع البدع والخرافات التي يبتدعها ويروجها شياطين الإنس والجن

في العبادات، ومن تقبل شيئاً من ذلك فهو مشرك كما قال في هذه الآية: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (١٤٦)

[الأنعام: ١٢١].

وقال تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ

أَرْزَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ تلا هذه الآية

على عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، لسنا

نعبدهم، قال: «أليس يحلون لكم ما حرم الله فتحلونهم،

ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟» قال: بلى. قال النبي

ﷺ: «فتلك عبادتهم» (١).

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥).

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ: فصارت طاعتهم في المعصية عبادة لغير الله وبها اتخذوهم أرباباً كما هو الواقع في هذه الأمة، وهذا من الشرك الأكبر، المنافي للتوحيد الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله... فتيين أن كلمة الإخلاص نفت هذا كله لمنافاته لمدلول هذه الكلمة.

وكذلك يجب رفض التحاكم للقوانين؛ لأنه يجب التحاكم إلى كتاب الله وترك التحاكم إلى ما عداه من النظم والقوانين البشرية.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ نَنْزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الشورى: ١٠]. وقد حكم سبحانه بكفر

من لم يحكم بما أنزل الله وبظلمه وفسقه، ونفى عنه الإيمان مما يدل على أن الحكم بغير ما أنزل الله إذا كان الحاكم به يستبيحه أو يرى أنه أصلح من حكم الله وأحسن فهذا كفر وشرك ينافي التوحيد ويناقض لا إله إلا الله تمام المناقضة.

وإن كان لا يستبيح ذلك، ويعتقد أن حكم الله هو الذي يجب الحكم به، ولكن حمله الهوى على مخالفته فهذا كفر أصغر وشرك أصغر ينقض معنى لا إله إلا الله ومقتضاها.

إذن؛ فلا إله إلا الله منهج متكامل يجب أن يسيطر على حياة المسلمين وجميع عباداتهم وتصرفاتهم، فليست لفظاً يردد للبركة والأوراد الصباحية والمسائية بدون فهم لمعناه وعمل بمقتضاه والسير على منهجه كما يظنه كثير

من يتلفظون بها بألسنتهم، ويخالفونها في معتقداتهم
تصرفاتهم.

ومن مقتضى لا إله إلا الله: إثبات أسماء الله وصفاته
لتي سمى ووصف بها نفسه، أو سماه ووصفه بها رسوله
ﷺ وقال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا
لَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَبِيلًا مَا كَانَ يُغْمَلُونَ
لَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال في فتح المجيد: وأصل الإلحاد في كلام العرب:
لعدول عن القصد والميل والجور والانحراف، وأسماء
لرب تعالى كلها أسماء وأوصاف تعرّف بها تعالى إلى
عباده، ودلت على كماله - جل وعلا - .

وقال رحمه الله: فالإلحاد فيها إما بجحدها وإنكارها،
إما بجحد معانيها وتعطيلها، وإما بتحريفها عن الصواب

وإخراجها عن الحق بالتأويلات، وإما أن يجعلها أسماء لهذه المخلوقات كإلحاد أهل الاتحاد فإنهم جعلوها أسماء هذا الكون محمودها ومذمومها... انتهى.

فمن أُلحد في أسماء الله وصفاته بالتعطيل والتأويل أو التفويض، ولم يعتقد ما دلت عليه من المعاني الجليلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة؛ فقد خالف مدلول لا إله إلا الله؛ لأن الإله هو الذي يدعى ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته، كما قال تعالى: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].
والذي ليس له أسماء ولا صفات كيف يكون إلهاً وكيف يدعى وبماذا يدعى؟!!

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: تنازع الناس في كثير من الأحكام، ولم يتنازعوا في آيات الصفات، وأخبارها في موضع واحد بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها

وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها، وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بيانًا، وأن العناية ببيانها أهم؛ لأنها من تمام تحقيق الشهادتين، وإثباتها من لوازم التوحيد فبينها الله ﷻ ورسوله بيانًا شافيًا لا يقع فيه لبس.

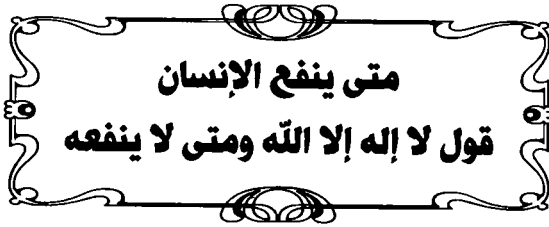
وآيات الأحكام لا يكاد يفهم معانيها إلا الخاصة من الناس.

وأما آيات الصفات فيشترك في فهم معناها الخاص والعام، أعني: فهم أصل المعنى لا فهم الكنه والكيفية.

وقال أيضًا: وهذا أمر معلوم بالفطر والعقول السليمة والكتب السماوية: أن فاقد صفات الكمال لا يكون إلهاً ولا مدبراً ولا رباً، بل هو مذموم معيب ناقص، ليس له الحمد لا في الأولى ولا في الآخرة، وإنما الحمد في الأولى والآخرة لمن له صفات الكمال ونعوت الجلال

التي لأجلها استحق الحمد، ولهذا سمى السلف كتبهم التي صنفوها في السنة، وإثبات صفات الرب وعلوه في خلقه وكلامه وتكليمه توحيداً؛ لأن نفي ذلك وإنكاره والكفر به إنكار للصانع ووجد له، وإنما توحيده إثبات صفات كماله وتنزيهه عن التشبيه والنقائص.





سبق أن قلنا أن قول لا إله إلا الله لا بد أن يكون صحوبًا بمعرفة معناها والعمل بمقتضاها، ولكن لما كان بناك نصوص قد يتوهم منها أن مجرد التلفظ بها يكفي، قد تعلق بهذا الوهم بعض الناس، اقتضى الأمر إيضاح ذلك لإزالة هذا الوهم عن من يريد الحق.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على حديث عتبان... الذي فيه: «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٤١٥)، ومسلم (٣٣).

قال: اعلم أنه قد وردت أحاديث ظاهرها أنه من أتى بالشهادتين حرم على النار كهذا الحديث، وحديث أنس قال: كان النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل فقال: «يا معاذ»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إلا حرمه الله على النار»^(١). ولمسلم عن عبادة مرفوعًا: «ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله حرمه الله على النار»^(٢).

ووردت أحاديث فيها أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة، وليس فيها أنه يحرم على النار، منها حديث عبادة الذي تقدم قريبًا وحديث أبي هريرة أنهم كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك -الحديث وفيه- فقال رسول الله ﷺ:

(١) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢)، وأحمد (٣ / ٢٦١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩)، والترمذي (٢٦٣٨)، وأحمد (٥ / ٣٧٨).

«أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقي الله بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة»^(١) رواه مسلم.

ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية:

قال: وأحسن ما قيل في معناه ما قاله شيخ الإسلام بن تيمية وغيره: إن هذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها ومات عليها، كما جاءت مقيدة وقالها خالصاً من قلبه ستيقناً بها قلبه غير شاك فيها بصدق ويقين، فإن حقيقة لتوحيد انجذاب الروح إلى الله جملة؛ فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة؛ لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى، بأن يتوب من الذنوب توبة صوحاً، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك، فإنه قد نواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال لا إله إلا

(١) أخرجه مسلم (٢٧)، وأحمد (١٤٦/٢).

الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة، وما يزن ذرة، وتواترت بأن كثيرًا ممن يقول: لا إله إلا الله، يدخل النار ثم يخرج منها، وتواترت بأن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم، فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله، وتواترت بأنه يحرم على النار من قال: لا إله إلا الله، ومن شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت فيحال بينه وبينها، وأكثر من يقولها يقولها تقليدًا وعادة لم يخالط الإيمان بشاشة قلبه.

وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء كما في الحديث «سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته»^(١)،

(١) أخرجه البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥)، وأحمد (٦/ ٣٥٥).

وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء بأمثالهم وهم أقرب الناس من قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

وحيثيذ فلا منافاة بين الأحاديث فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحال مصراً على ذنب أصلاً، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، فإذن لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله ولا كراهية لما أمر الله، وهذا هو الذي يحرم على النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك، فإن هذا الإيمان وهذه التوبة وهذا الإخلاص وهذه المحبة وهذا اليقين لا تترك له ذنباً إلا يمحي كما يمحي الليل بالنهار. انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ.

ما قاله الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

ولهم شبهة أخرى يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على

أسامة قتل من قال لا إله إلا الله، وقال: «أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله»^(١).

وأحاديث أخرى في الكف عن قالها، ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل، فيقال لهؤلاء الجهال: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون: لا إله إلا الله، وأصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ويصلون ويدعون الإسلام، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقُتل ولو قال لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئًا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئًا من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد

(١) أخرجه البخاري (٤٠٢١)، ومسلم (٩٦)، وأحمد (٥/ ٢٠٠).

لذي هو أصل دين الرسل ورأسه! ولكن أعداء الله ما
 نهموا معنى الأحاديث.

وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادعى
 للإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعاه إلا خوفاً على دمه
 وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى
 تبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله في ذلك ﴿يَتَأَيُّهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤]،
 ي: فتثبتوا؛ فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت،
 إن تبين بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله:
 ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى.

وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ما ذكرناه من
 ن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكف عنه إلا إن
 بين منه ما يناقض ذلك... والدليل على هذا أن الرسول

ﷺ الذي قال: «أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله»^(١) وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»^(٢) هو الذي قال في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم»^(٣)، «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»^(٤) مع كونهم من أكثر الناس تهليلاً؛ حتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة

(١) انظر السابق.

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٥)، ومسلم (١٣٣)، والترمذي (٢٦٠٨)، والنسائي (٣٩٦٧)، وأبو داود (٢٦٤١)، وابن ماجه (٧١)، وأحمد (٢٢٥ / ٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (٢٥١١)، وأبو داود (٤٧٦٩)، والنسائي (٤١٠٢)، وابن ماجه (١٧٥)، وأحمد (٨١ / ١).

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (٢٤٩٩)، وأبو داود (٤٧٦٦)، والنسائي (٢٥٧٨)، وأحمد (٦٨ / ٣).

لشريعة، وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقاتل
لصحابة بني حنيفة.

ما قاله الحافظ ابن رجب:

وقال الحافظ ابن رجب في رسالته المسماة «كلمة
لإخلاص» على قوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى
يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله»^(١) قال:
فهم عمر وجماعة من الصحابة أن من أتى بالشهادتين
متنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك فتوقفوا في قتال مانعي
لزكاة، وفهم الصديق أنه لا يمنع قتاله إلا بأداء حقوقهما؛
قوله ﷺ: «فإذا فعلوا ذلك منعوا مني دماءهم إلا بحقها،
وحسابهم على الله»^(٢)، وقال: «الزكاة حق المال»، وهذا

(١) تقدم تخريجه ص (٥٠).

(٢) تقدم ص (٥٠).

الذي فهمه الصديق قد رواه عن النبي ﷺ صريحًا غير واحد من الصحابة منهم ابن عمر وأنس وغيرهما وأنه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة» (١).

وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

كما دل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]. على أن الأخوة في الدين لا تثبت إلا بأداء الفرائض مع التوحيد، فإن التوبة من الشرك لا تحصل إلا بالتوحيد، فلما قرر أبو بكر هذا للصحابة رجعوا إلى قوله ورأوه صوابًا، فإذا علم أن عقوبة الدنيا لا ترتفع عن أدنى الشهادتين مطلقًا، بل يعاقب

(١) تقدم تخريجه ص (٥٠).

بإخلاله بحق من حقوق الإسلام فكذلك عقوبة الآخرة.

وقال أيضًا: وقالت طائفة من العلماء: المراد من هذه الأحاديث أن التلفظ ب: لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة ولخروج الجنة من النار، ومقتضى لذلك.

ولكن المقتضى لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع - وهذا قول الحسن ووهب بن منبه وهو الأظهر.

ثم ذكر عن الحسن البصري أنه قال للفرزدق وهو يدفن امرأته: ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة، قال الحسن: نعم العدة، لكن لا إله إلا الله) شروطًا؛ فإياك وقذف المحصنات.

وقيل للحسن: إن أناسًا يقولون: من قال لا إله إلا

الله دخل الجنة فقال: من قال لا إله إلا الله فأدى حقها
وفرضها دخل الجنة.

وقال وهب بن منبه لمن سأله: أليس لا إله إلا الله
مفتاح الجنة؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان
فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك.

وأظن أن في هذا القدر الذي نقلته من كلام أهل
العلم كفايةً في رد هذه الشبهة التي تعلق بها من ظن أن من
قال لا إله إلا الله لا يكفر ولو فعل ما فعل من أنواع الشرك
الأكبر التي تمارس اليوم عند الأضرحة وقبور الصالحين
مما يناقض كلمة لا إله إلا الله تمام المناقضة، ويضادها
تمام المضادة.

وهذه طريقة أهل الزيغ الذين يأخذون من النصوص
المجملة ما يظنون أنه حجة لهم، ويتركون ما بيينه

ويوضحه النصوص المفصلة كحال الذين يؤمنون ببعض
 لكتاب ويكفرون ببعض، وقد قال الله في هذا النوع من
 الناس: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ
 أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا
 تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا
 اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ
 إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا
 مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ
 لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴿٩﴾ ﴾ [آل
 عمران: ٧ - ٩].

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل
 باطلاً وارزقنا اجتنابه.



آثار لا إله إلا الله

لهذه الكلمة إذا قيلت بصدق وإخلاص وعمل بمقتضاها ظاهراً وباطناً؛ آثارٌ حميدة على الفرد والجماعة من أهمها:

١- اجتماع الكلمة التي ينتج عنها حصول القوة للمسلمين والانتصار على عدوهم؛ لأنهم يدينون بدين واحد وعقيدة واحدة كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي آتَىٰ أَيْدِيكَ بُصْرَهُ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَالْأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

والاختلاف في العقيدة يسبب التفرق والنزاع

والتناحر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]. وقال تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون: ٥٣].

فلا يجمع الناس سوى عقيدة الإيمان والتوحيد التي هي مدلول لا إله إلا الله، واعتبر ذلك بحالة العرب قبل الإسلام وبعده.

٢- توفر الأمن والطمأنينة في المجتمع الموحد الذي يدين بمقتضى لا إله إلا الله؛ لأن كلاً من أفرادها يأخذ ما أحل الله له ويترك ما حرم الله عليه تفاعلاً مع عقيدته التي تملي عليه ذلك، فينكف عن الاعتداء والظلم والعدوان، ويحل محل ذلك التعاون والمحبة والموااة في الله عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. يظهر

هذا جلياً في حالة العرب قبل أن يدينوا بهذه الكلمة وبعدها دانوا بها، فقد كانوا من قبل أعداء متناحرين يفتخرون بالقتل والنهب والسلب فلما دانوا بها أصبحوا إخوة متحابين كما قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٣- حصول السيادة والاستخلاف في الأرض وصفاء

الدين والثبوت أمام تيارات الأفكار والمبادئ المختلفة، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي

شَيْئًا ﴿ [النور: ٥٥]. فربط سبحانه حصول هذه المطالب العالية بعبادته وحده لا شريك له، الذي هو معنى ومقتضى لا إله إلا الله.

٤- حصول الطمأنينة النفسية والاستقرار الذهني لمن قال لا إله إلا الله وعمل بمقتضاها؛ لأنه يعبد ربًّا واحدًا يعرف مراده وما يرضيه فيفعله، ويعرف ما يسخطه فيجتنبه، بخلاف من يعبد آلهة متعددة كل واحد منها له مراد غير مراد الآخر، وله تدبير غير تدبير الآخر كما قال تعالى: ﴿أَرْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿٣٩﴾ [يوسف: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر: ٢٩].

قال الإمام ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هذا مثل ضربه الله سبحانه للمشرك والموحد، فالمشرك بمنزلة عبد يملكه

جماعة متنازعون مختلفون متشاحون، والرجل المتشاكس: السبيء الخلق.

فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتى شبه بعبد يملكه جماعة متنافسون في خدمته لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين، والموحد لما كان يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد لرجل واحد قد سلم له وعلم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه؛ فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه، بل هو سالم لمالكة من غير تنازع فيه مع رافة مالكة ورحمته له وشفقته عليه وإحسانه إليه وتوليه لمصالحه، فهل يستوي هذان العبدان!

٥- حصول السمو والرفعة لأهل لا إله إلا الله في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]. فدلّت

الآية على أن التوحيد علو وارتفاع، وأن الشرك هبوط وسفول وسقوط.

قال العلامة ابن القيم رحمته الله: شبه الإيمان والتوحيد في علوه وسعته وشرفه بالسماء التي هي مصعده ومهبطة، فمنها هبط إلى الأرض وإليها يصعد منها، وشبه تارك الإيمان والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين من حيث التضييق الشديد والآلام المتركمة والطير التي تخطف أعضائه وتمزقه كل ممزق بالشياطين التي يرسلها الله تعالى وتؤزه وترعجه وتقلقه إلى مظان هلاكه، والريح التي تهوي به في مكان سحيق هو هواه الذي يحمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده عن السماء.

٦- عصمة الدم والمال والعرض؛ لقوله صلى الله عليه وسلم:

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله؛ فإذا

قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»^(١).

وقوله: «بحقها» معناه: أنهم إذا قالوها وامتنعوا من القيام بحقها - وهو أداء ما تقتضيه من التوحيد والابتعاد عن الشرك، والقيام بأركان الإسلام - أنها لا تعصم أموالهم ولا دماءهم، بل يُقتلون، وتؤخذ أموالهم غنيمة للمسلمين، كما فعل بهم النبي ﷺ وخلفاؤه.

هذا؛ ولهذه الكلمة آثار عظيمة على الفرد والجماعة في العبادات والمعاملات والآداب والأخلاق...

وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١) تقدم تخريجه ص (٥٠).

فهرس الموضوعات

- تقديم لمعالى الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي
 مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.....٥
- المقدمة ١٢
- مكانة لا إله إلا الله فى الحياة.....١٦
- فضل لا إله إلا الله ٢٠
- إعرابها وأركانها وشروطها ٢٤
- أ- إعرابها: ٢٤
- ب- ركننا لا إله إلا الله: ٢٥
- ج- وأما شروط لا إله إلا الله: ٢٧
- معنى هذه الكلمة ومقتضاها ٢٩

- متى ينفع الإنسان قول لا إله إلا الله ومتى لا ينفعه ٤٣
- ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية: ٤٥
- ما قاله الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ٤٧
- ما قاله الحافظ ابن رجب: ٥١
- آثار لا إله إلا الله ٥٦
- فهرس الموضوعات ٦٣

